

أنا وأنت على الطريق الحب لا يستمر أكثر من ثلاث سنوات

صديقتي المستمعة،

وُجد في إحدى الدراسات مؤخرًا أن الحب بين الرجل والمرأة لا يعيش أكثر من ثلاث سنوات فقط. فهل هذا صحيح؟ تعالي سيدتي نستمع إلى ما جاء في هذا التقرير: رغم دوران العالم الغربي المتقدم في حلقة جهنمية من إيقاع الحياة السريع التي يخيل إليك أنها لا تتوقف أبدا عن الحركة. إلا أن هذا لا يمنع أن حالة الإحساس بالمشاعر العاطفية التي يطلقون عليها " الحب " يتساوى فيها جميع أفراد البشر، سواء كانوا من دول العالم الأول أو حتى من دول العالم الرابع. فالإنسان بطبيعته كائن رومانسي يشعر ويحب ويكره. وتعكس دراسة أجرتها طبيبة فرنسية متخصصة في علم الأعصاب هذه الحالة من الاحتياج للمشاعر العاطفية، حيث توصلت من خلال دراسة ميدانية إلى نتيجة تقول: إن الشعور بالحب لا يدوم أكثر من ثلاث سنوات، وإن تسارع دقات القلب والإحساس بالتحليق عاليًا في السماء وما يصاحبه من سعادة لا توصف ليست سوى أعراض جسدية ونفسية طبيعية ناتجة عن زيادة في إفراز بعض هرمونات المخ، والتي تخف مع الزمن لتصاب العلاقة بالفتور وتبدأ مواويل الملل واكتشاف العيوب والندم أيضا.

وتقول الدكتورة لوسي فانسون المتخصصة في طب الأعصاب والبيولوجيا والباحثة بالمركز الفرنسي للبحث العلمي في كتابها الذي يحمل عنوان: "كيف يحدث الحب" إن الحب ليس سوى نتيجة لإفراز مجموعة أي كوكيتيل من الهرمونات العصبية التي تجعلنا نشعر بتلك الخفة والسعادة وهي هرمونات " الفيرومون، والدوبامين ، والأندروفين، والأوسيتوسين، والتي تجتمع كلها لهدف بيولوجي يدخل في إطار السعي إلى البقاء. وتعتقد الدكتورة لوسي أن المخ هو المتحكم الرئيسي في الحب ، لكنَّ مفعول هذا الكوكيتيل السحري لا يستمر فترة طويلة، بل يعيش فترة محددة تختلف من شخص إلى آخر، لكنها لا تتعدى الثلاث السنوات في أحسن الحالات. حيث يخف إفراز هذه الهرمونات شيئًا فشيئًا. وأوضحت أن الدراسات والتجارب التي أجريت في هذا المجال أظهرت أن كيمياء المخ التي تسيطر على مشاعر الحب لا تدوم أكثر من ثلاث سنوات وكأنها بطارية أُفرغت من طاقتها تماما. وأكدت أنه يمكن تحفيز إفراز هرمون الأوسيتوسين الذي يزيد من مشاعر الحب إذا عرف الزوجان كيف ينميان علاقتهما من خلال الكلام الجميل والحوار البناء والتعامل اللطيف والعودة بالذاكرة إلى أيام التوهج الأولى. إلى هنا ينتهي التقرير...

هذه الدراسة التي شاركتك بها للتو يا سيدتي تؤكد أن الشعور بالحب لا يدوم أكثر من ثلاث سنوات لأن هذه الإفرازات الطبيعية للهرمونات المتعددة في الجسم تخف مع الزمن. لهذا نرى في زواج القرن الحادي والعشرين انهيارات تتكرر في زواجات ثنائية وثالثة ورابعة. لأن الزوجين يعتمدان في زواجهما على هذه العاطفة التي تجيش أحيانا وتخف لا بل ربما تندثر في أحيان أخرى. لهذا يظن الزوجان بأنهما لم يعودا يحبان بعضهما البعض أو أن ما بينهما لم يعد موجودا....

لكن ماذا عن الأزواج والزوجات الذين يعيشون طوال حياتهم معا هل من المعقول أنهم لم يمروا بهكذا حالة؟ أي أن شعور الحب لديهم بقي متأججا دائما طيلة حياتهما؟ بالطبع لا، لأنَّ الإنسان معرض في كل زواج إلى حالة من الفتور في عواطفه والتعبير عن حبه لشريك أو شريكة الحياة. ثم إن ضغوط الحياة ومتطلباتها الكثيرة تؤثر على توهج الحب فيفتقر أو ربما يقل تدريجيا. لكن هل هذه الحالة تمنح الزوج أو الزوجة الحق في التفتيش عن شريك آخر أو شريكة أخرى تثير في أنفسهما عاطفة الحب من جديد؟ فتخرب البيوت وتدمر العائلات؟ بالطبع كلا.. لأن كل ما يمر به الزوجان في حياتهما معا وعلاقتهما يساعدهما على النضوج والنمو معا، وفهم أحدهما الآخر. كما ويتعلمان من خلاله بأن يجدا حلولاً لمشاكلهما وحتى لفتور حبهما واحدهم للآخر. فالزواج يا سيدتي هو عهد بين الزوجين وليس صفقة تجارية تنجح في الريح وتسقط في الخسارة.. إنه عهد مقدس بين الزوج والزوجة باركه الله وشهد عليه الناس

نعم، ويظل الحب نسبيا يا سيدتي، لأن محبة الإنسان للإنسان تظل ناقصة وغير مكتملة حتى ومهما كانت مليئة بالمشاعر السعيدة. أما محبة الله للبشر أجمعين فهي محبة متكاملة يقول عنها الكتاب المقدس الذي كتب بوحي من روح الله القدوس بأنها أبدية: **محبة أبدية أحببتك لذلك أدمت لك الرحمة. نعم** ولأن محبة الله للجنس البشري محبة أبدية لذلك أدام الرحمة لكل إنسان خاطئ. أنا وأنت والجميع. لأن **"الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"**. لهذا تعالي يا سيدتي نرتمي عند الصليب الذي هو إعلان محبة الله لبني البشر. **"لكن بين الله محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"**. ونقول له نثق بمحبتك الأبدية التي لا تتغير. فالرب يسوع المسيح أتى إلى عالمنا لكي يصلح الإنسان مع الله فمات بدلا عنك. فهل تؤمنين به؟
